

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتُ الْعُلْيَا، أَنْزَلَ كِتَابَهُ
وَأَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، سُبْحَانَهُ الْإِلَهَ الْوَاحِدَ الْمَعْبُودَ، وَسِعَتْ
رَحْمَتُهُ كُلَّ الْوُجُودِ، أَحْمَدُهُ تَعَالَى وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ
أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ
اللَّهِ وَرَسُولُهُ، جَعَلَ اللَّهُ سِيرَتَهُ قُدْوَةً تُنِيرُ بَصَائِرَ الْمُؤْمِنِينَ، فِي كُلِّ وَقْتٍ
وَحِينٍ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ
بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ :

أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَحْتَكُمُ عَلَى طَاعَتِهِ، وَاتَّبَاعِ هَدْيِ نَبِيِّهِ
ﷺ، فَهُوَ الرَّحْمَةُ الْمُهْدَاةُ، وَهُوَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ
رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (١)، لَقَدْ عَلِمَ
اللَّهُ مِنْ صِفَاتِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَخْلَاقِهِ مَا يُؤَهِّلُهُ لِحَمْلِ الرِّسَالَةِ وَأَدَاءِ

(١) سورة الأحزاب/ ٤٠.

الْأَمَانَةَ فَاصْطَفَاهُ رَسُولًا لِلْعَالَمِينَ، وَإِنَّهُ لَيْسَ بِوَسْعِ أَيِّ مُنْصِفٍ وَقَارِيٍّ
لِلتَّارِيخِ أَنْ يَتَجَاوَزَ حَقِيقَةَ تَحَوُّلِ الْعَالَمِ مِنْذُ بَعَثَةِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٍ ﷺ،
فَقَدْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ جَدِيدَةٍ عَلَى الْعَالَمِينَ بِمَوْلِدِهِ، فَلَمْ يَكُنْ رَسُولًا لِقُرَيْشٍ
أَوْ الْعَرَبِ فَحَسَبُ، إِنَّمَا هُوَ رَسُولٌ لِلْعَالَمِينَ قَاطِبَةً، وَإِذْ تَمُرُّ عَلَيْنَا ذِكْرَى
مَوْلِدِهِ فَحَرِيٌّ بِنَا أَنْ نَتَوَقَّفَ عِنْدَ نَمَازِجٍ مِنْ مَعَالِمِ شَخْصِيَّتِهِ كَيْ
نُجَسِّدَهَا سُلُوكًا فِي حَيَاتِنَا.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ :

إِنَّ أَنْبَلَ أَخْلَاقِ الرَّسُولِ ﷺ الَّتِي يَحْسُنُ الْحَدِيثُ عَنْهَا وَأَنْ نُحَدِّثَ
الْآخِرِينَ بِهَا، هِيَ تِلْكَ الَّتِي ذَكَرَهَا الْقُرْآنُ، وَكَرَّرَهَا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا، أَلَا
وَهِيَ صِفَةُ الرَّحْمَةِ، الَّتِي جُعِلَتْ عُنْوَانُ رِسَالَتِهِ وَمِفْتَاحُ عَالَمِيَّتِهِ حَيْثُ
قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١)، هَذِهِ الرَّحْمَةُ الَّتِي تُمَثِّلُ
أَبْرَزَ عُنْوَانِ فِي الْأَخْلَاقِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا ﷺ وَالَّتِي صَوَّرَهَا الْقُرْآنُ
بِطَرِيقَةٍ تَدُلُّ عَلَى سُمُوِّ شَخْصِيَّتِهِ وَتَمَكُّنِهِ مِنَ الْخَلْقِ الْحَسَنِ، قَالَ
تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢)، فَهُوَ لَيْسَ صَاحِبَ خُلُقٍ عَظِيمٍ فَقَطُّ، بَلْ
هُوَ عَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ، فَاسْتَعْمَلَ الْقُرْآنُ حَرْفَ الْجَرِّ (عَلَى) لِيَدُلَّ عَلَى

(١) سورة الأنبياء/ ١٠٧.

(٢) سورة القلم/ ٤.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

مَدَى سُمُو أَخْلَاقِهِ ﷺ ، حَتَّى كَأَنَّهُ صَارَ فَوْقَ الْأَخْلَاقِ فِي مَرْتَبَةٍ لَا تَسْمُو إِلَيْهَا الْأَخْلَاقُ الَّتِي يَتَصَوَّرُهَا الْإِنْسَانُ، وَمِنْ هُنَا كَانَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- عَلَى رَأْسِ سِلْسِلَةِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أُمِرْنَا بِالنَّاسِي بِهِمْ وَقَالَ اللَّهُ فِي حَقِّهِ: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١). إِنَّ السُّمُوَّ الْخُلُقِيَّ الَّذِي ارْتَقَى إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُسْتَحِيلَاتِ عَلَى الْبَشَرِ، إِنَّمَا ارْتَقَى إِلَيْهِ بِسُلُوكِ وَاسْتِقَامَةِ وَمُجَاهَدَةٍ، فَهُوَ رَسُولٌ بَشَرٌ مِثْلُنَا، بَعَثَهُ اللَّهُ مِنْ قَوْمِهِ وَاتَّصَفَ بِصِفَاتِ الرَّحْمَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، وَكَانَتْ تِلْكَ أَخْلَاقُهُ مُنْذُ نَشَأَتِهِ طِفْلًا فَشَابًّا، فَنَبِيًّا وَرَسُولًا، وَقَدْ أَبْرَزَ الْقُرْآنُ جَوَانِبَ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ وَعَلَامَاتِهَا وَأَثَارِهَا فِي اسْتِمْرَارِ رِسَالَتِهِ وَبَقَائِهَا، كَمَا حَفَلَتْ السُّنَّةُ وَكُتِبُ السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ بِمَا يُؤَكِّدُ هَذِهِ الصِّفَاتِ، وَمَا اسْتَذَكَرْنَا لَهَا الْيَوْمَ فِي شَهْرِ مَوْلِدِهِ إِلَّا لِنَنْطَلِقَ مِنْهَا مِنْهَجًا فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْحَيَاةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

لِنَبْدَأُ بِرَسُولِ اللَّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ، كَمَا يَصِفُهُ الْقُرْآنُ حِينَ يَتَحَدَّثُ عَنْ أَثَرِ الرَّحْمَةِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا ﷺ فِي مَسِيرَةِ حَيَاتِهِ، حَتَّى إِنَّهَا بِمَنْزِلَةِ

(١) سورة الأحزاب/ ٢١.

مِفْتَاحِ لِلنَّجَاحِ فِي مُعَامَلَةِ النَّاسِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِآيَاتٍ لَخَافَتْكُمْ كُرُوسُهُمْ يَوْمَ السَّعْيِ وَأَنْتُمْ كَالْعِزَّةِ وَالنَّجَّارِ وَإِنْ يَأْتِ بِآيَاتٍ لَأَقْبِرَنَّ عَنْكُمْ حَتْمًا مَعْلُومًا﴾ (١)، فَغَلْظَةُ الْقَلْبِ وَالْفِطْرَةُ الْبَدِيئَةُ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (٢)، فَالْحِرْمَةُ صِفَةٌ أَسَاسِيَّةٌ فِي كَفَيْلَةِ بِنْفْرِيقِ الْأَتْبَاعِ وَطَرْدِ الْأَصْحَابِ، فَالرَّحْمَةُ صِفَةٌ أَسَاسِيَّةٌ فِي الْمُسْلِمِ، فَكَانَ ﷺ دَاعِيَةً رَحِيمًا، فَمِنْ رَحْمَتِهِ حِرْمَتُهُ عَلَى إِيْمَانِ النَّاسِ وَرَأْفَتُهُ بِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، يَصِفُ الْقُرْآنُ هَذَا الْخُلُقَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣)، حَتَّى إِنَّهُ ﷺ مِنْ شِدَّةِ حِرْمَتِهِ عَلَى إِيْمَانِ النَّاسِ كَانَ يُجْهِدُ نَفْسَهُ فِي إِرْشَادِهِمْ حَتَّى يَبْلُغَ ذَلِكَ مِنْهُ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِ نَفْسِيًّا وَجَسَدِيًّا؛ فَخَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُ هَذَا الْعِبَاءَ الَّذِي يَحْمِلُهُ فِي سَبِيلِ إِيْمَانِ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (٤)، وَقَالَ لَهُ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٥)، وَعَلَى كَثْرَةِ مَا لَقِيَ ﷺ مِنْ أَدَى قَوْمِهِ لَمْ يَمْنَعُهُ ذَلِكَ مِنْ

(١) سورة آل عمران/ ١٥٩.

(٢) سورة التوبة/ ١٢٨.

(٣) سورة الكهف/ ٦.

(٤) سورة فاطر/ ٨.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

مُواصَلَةً مَسِيرِهِ فِي إِرْشَادِهِمْ، وَالسَّعْيِ إِلَى هِدَايَتِهِمْ، بَلْ لَمْ يُغَيِّرْ ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ خَلْقِهِ؛ فَظَلَّ كَمَا وَصَفَهُ الْقُرْآنُ عَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ، وَإِذَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ قَدْ آذَوْهُ مَادِيًّا فَإِنَّهُ رَفَضَ أَنْ يُؤْذِيَهُمْ لَفْظِيًّا أَوْ يَنْتَقِمَ مِنْهُمْ حَتَّى فِي الدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُدْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: ((إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً))، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: ((إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَاةٌ))، بَلْ إِنَّهُ فِي أَحْلَكِ الظُّرُوفِ وَأَقْسَى مَشَاهِدِ الْأَذَى الَّذِي نَالَهُ، وَقَدْ صَدَرَ مِنْ قَوْمِهِ مَا صَدَرَ، التَّجَاءُ إِلَى اللَّهِ دَاعِيًّا: ((اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ))، وَعِنْدَمَا فَتَحَ مَكَّةَ وَظَفَرَ بِالنَّصْرِ عَلَى مُحَارِبِيهِ وَمُخْرِجِيهِ مِنْ بَلَدِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ، وَقَدْ أَصْبَحُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، خَطَبَ النَّاسَ فِي الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ وَخَاطَبَ قُرَيْشًا فِي خُطْبَتِهِ قَائِلًا: ((يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟)) قَالُوا: خَيْرًا، أَخُ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: ((فَأِنِّي أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمْ﴾^(١)، اذْهَبُوا فَانْتُمُ الطُّلُقَاءُ)).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

هَذَا رَسُولُ اللَّهِ الْحَرِيصُ عَلَى هِدَايَةِ النَّاسِ، الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ

(١) سورة يوسف / ٩٢.

بِالْمُؤْمِنِينَ، يَغْفُو وَيَصْفَحُ عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَأَذَاهُ، وَيَدْعُو بِالْهَدَايَةِ لِمَنْ جَهَلَ عَلَيْهِ، لَيْسَ بِالْفَظِّ وَلَا بِالْغَلِيظِ، وَهَذَا الْخُلُقُ الْعَظِيمُ وَصَفٌ لِأَرْسُلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنُهُ مَعَ أَعْدَائِهِ وَمَنْ آذَوْهُ فَإِنَّهُ مَعَ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَشَدُّ رَأْفَةً وَرَحْمَةً، تَعَالَوْا بِنَا نَسْتَطِيعُ نَمَازِجَ مِمَّا رُوِيَ عَنْ رَحْمَتِهِ وَحُسْنِ خُلُقِهِ مَعَهُمْ، فَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّوْجُ فِي أَسْرَتِهِ تَتَحَدَّثُ عَنْهُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَهِيَ تُجِيبُ السَّائِلَ عَمَّا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: ((كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ))، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ تَقُولُ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ))، وَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْأَبُّ الْعَطُوفُ عَلَى الْأَطْفَالِ وَالصِّغَارِ حَتَّى فِي الصَّلَاةِ، يَقُولُ ﷺ: ((إِنِّي لِأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَاسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَاتَجَوَّرُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةً أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ))، وَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَتُقَبِّلُونَ الصَّبِيَّانَ؟ فَوَاللَّهِ مَا نَقْبَلُهُمْ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((أَوْأَمَلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟))، وَهَذَا الرَّسُولُ الْمُصْطَفَى الْوَفِيُّ لِأَصْحَابِهِ الرَّحِيمِ بِهِمْ، سَمِعَ بِمَرَضِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَاتَّاهُ يَعُودُهُ، فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمَ بُكَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَكَوْا؛

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

فَقَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ))، وَهَذِهِ الْأَرْمَلَةُ الْمِسْكِينَةُ تَجِدُ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَيْرَ سَنَدٍ وَمُعِينٍ، فَقَدْ جَاءَ فِي صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ: ((وَلَا يَأْنِفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ فَيَقْضِيَ حَاجَتَهُمَا))، وَجَاءَ أَيْضًا: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي ضُعَفَاءَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَزُورُهُمْ وَيَعُودُ مَرْضَاهُمْ، وَيَشْهَدُ جَنَائِزَهُمْ))، وَهُنَا نَتَسَاءَلُ مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ: أَيْنَ نَحْنُ الْيَوْمَ مِنْ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ النَّبَوِيَّةِ؟ هَلِ اتَّخَذْنَاهَا مِنْهَا لَنَا فِي حَيَاتِنَا؟ هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُسْوَةً لَنَا حَقًّا فِي سُلُوكِنَا وَتَعَامُلِنَا؟ هَلْ مَحَوْنَا مِنْ قَامُوسِ تَفْكِيرِنَا مُفْرَدَاتِ اللَّعْنِ وَالْإِنْتِقَامِ وَالتَّأْرِبِ، وَاسْتَبَدَلْنَا بِهَا الرَّحْمَةَ وَالرَّأْفَةَ وَالْعَفْوَ وَالصَّفْحَ وَالْمَغْفِرَةَ؟ عِنْدَمَا نَجْعَلُ الرَّحْمَةَ مِفْتَاحَ عِلَاقَتِنَا مَعَ الْعَالَمِ سَنَجِدُ الْقُلُوبَ تَفْتَحُ، وَسَيَجِدُ الْإِسْلَامُ طَرِيقَهُ إِلَى الْعُقُولِ وَالْقُلُوبِ، هَكَذَا فَتَحَ الْمُسْلِمُونَ الْعَالَمَ، كَمَا شَهِدَ لَهُمُ الْمُؤَرِّخُونَ الْغَرْبِيُّونَ بِقَوْلِهِمْ: لَمْ يَعْرِفِ التَّأْرِيخُ فَاتِحًا أَرْحَمَ مِنَ الْعَرَبِ، لَقَدْ أَسْرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِأَخْلَاقِهِ، وَعَلَّمَنَا أَنْ نَتَسَلَّحَ بِالْخُلُقِ الْحَسَنِ لِنَتَقَبَّلَنَا النَّاسُ، هَذَا مِنْهُجُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلِنَتَّبِعْهُ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلِكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ

إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يُسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** **

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَفْضَلُ خَلْقِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ ذِكْرِي الْمَوْلِدِ مُنَاسِبَةٌ لَنَا كَيْ نَسْتَحْضِرَ سِيرَتَهُ ﷺ، وَنَدْرُسَ أَخْلَاقَهُ وَنَقْرَأَ شَمَائِلَهُ، وَمَا ذَكَرْنَاهُ مَا هُوَ إِلَّا نَمَازِجٌ مِنْ رَحْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَحُسْنِ خَلْقِهِ، وَهِيَ رَحْمَةٌ شَامِلَةٌ لَمْ تَقْتَصِرْ عَلَى الْبَشَرِ وَالْأَهْلِ وَالْأَصْحَابِ أَوْ الْمُخَالِفِينَ، بَلْ شَمِلَتْ كُلَّ ذِي رُوحٍ، فَكَانَ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا حَتَّى بِالْحَيَوَانَ، فَقَدْ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبِطْنِهِ - أَيِ ضَمَرَ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ - فَقَالَ: ((انْقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ، فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُّوهَا صَالِحَةً))، وَوَرَدَ أَنَّهُ مَرَّ عَلَى قَوْمٍ وَهُمْ وَقُوفٌ عَلَى دَوَابِّ لَهُمْ وَرَوَاحِلَ فَقَالَ لَهُمْ: ((ارْكَبُوهَا سَالِمَةً، وَدَعُوهَا

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

سَالِمَةً، وَلَا تَتَّخِذُوهَا كِرَاسِيَّ لِحَادِيثِكُمْ فِي الطُّرُقِ وَالْأَسْوَاقِ))، وَحَتَّى
عِنْدَمَا يُسْفَحُ دَمُ الْحَيَوَانِ لِلْأَكْلِ أَوْ يُقْتَلُ لِأَذَاهُ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَسُودَ الرَّحْمَةُ
أَيْضًا، فَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ،
وَأَلْحِدْ أَحَدَكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلِيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ :

هَكَذَا تَكُونُ الرَّحْمَةُ، لَيْسَتْ انْتِصَارًا شَخْصِيًّا، أَوْ تَعَاطُفًا عَائِلِيًّا، أَوْ
عُنْصُرِيَّةً أَوْ طَائِفِيَّةً، إِنَّهَا خُلِقَ لِأَصِيلِ لَدَى الْمُسْلِمِ تَجَاهَ عَالَمِ الْإِنْسَانِ
بِأَجْنَاسِهِ وَأَعْرَاقِهِ، رَحْمَةً تَشْمَلُ الْأَخَّ وَالصَّدِيقَ، وَالْأُسْرَةَ وَالْمُجْتَمَعَ،
وَالصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ، وَهِيَ رَحْمَةٌ تَشْمَلُ عَالَمَ الْحَيَوَانِ أَيْضًا، فَالْحَيَوَانُ
النَّافِعُ نَسْتَفِيدُ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ تَعْذِيبٍ أَوْ ضَرَرٍ، وَالْمُوْذِي نَتَخَلَّصُ مِنْهُ
بِأَرْفَقِ مَا يُمَكِّنُ لِتَجَنَّبَ أَذَاهُ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ-، وَلَنَرْجِعْ إِلَى بَيُّوتِنَا وَأُسْرِنَا وَأَعْمَالِنَا، وَفِي
أَذْهَانِنَا خُلِقَ الرَّحْمَةُ الَّذِي عَرَفْنَاهُ مِنْ أَخْلَاقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَنَسْعَ
لِنَجْعَلَ مِنْهُ أُسْوَةً فِي سُلُوكِنَا الْيَوْمِيِّ، لِنَحُلَّ أَيَّ مُشْكَلَةٍ تَطْرَأُ فِي حَيَاتِنَا
مَعَ أَيِّ شَخْصٍ كَانَ، وَلِنَجْرِبَ مُعَالَجَتَهَا بِتَمَثُّلِ هَذَا الْخُلُقِ، نَجِدُ أَنْفُسَنَا

فِي حَالِ رِضَا وَطُمَأْنِينَةٍ، وَيَرْضَى النَّاسُ عَنَّا، وَيَسْعَدُ الْعَالَمُ بِتَعَامُلِهِ مَعَنَا.
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الرَّاحِمِينَ الْمَرْحُومِينَ، وَاجْعَلْنَا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَأَخْلَاقِهِ مُقْتَدِينَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ يَقُولُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ،
وَيَعْرِفُونَ الْحَقَّ فَيَقِفُونَ عِنْدَهُ، وَيَعْمَلُونَ بِمَا يَقُولُونَ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، فَقَدْ
أَمَرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ
قَائِلًا عَلِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا
صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ
وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ
خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ
أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِيْنَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالعِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًّا مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيْبًا، وَعَمَلًا صَالِحًا زَاكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِيْنًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الإِسْلَامَ وَالمُسْلِمِيْنَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِيْنَ، وَاكَتُبِ السَّلَامَ وَالأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِيْنَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِيْنَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ المِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِيْنَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، المُسْتَغْفِرِيْنَ لَكَ بِالعَشِيِّ وَالأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ .
رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ .

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ .
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ .

عِبَادَ اللَّهِ :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .